

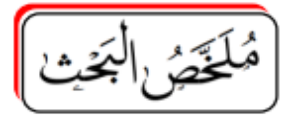
عوامل جذب الاستشراق الفرنسي نحو الأمثال الشعبية الجزائرية

أمال بن صافي*

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)

Bensafy13@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2024 / 12 / 28	2024 / 12 / 22	2024 / 12 / 18



الملخص

استقطبت الأمثال الشعبية الجزائرية اهتمام الاستشراق الفرنسي لعدة عوامل رئيسية، حيث اعتُبرت مصدراً غنياً للمعرفة الثقافية، إذ تعكس قيم ومعتقدات الشعب الجزائري بطريقة بسيطة وسهلة الفهم، مما جعلها أداة فعالة لفهم طريقة تفكير الأفراد وتفاعلهم مع الحياة. كما أن الأمثال تكشف عن الحالة النفسية والمشاعر الجمعية للمجتمع، مما يساعد المستشرقين على دراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية للمجتمع الجزائري. من جهة أخرى، كانت الأمثال وسيلة لدراسة التغيرات الاجتماعية والسياسية، حيث تعبر عن ردود فعل الشعب تجاه الأحداث والمتغيرات. إضافة إلى ذلك، كانت الأمثال بمثابة أداة للتأثير الاجتماعي والسياسي، تعكس مواقف غير مباشرة تجاه السلطات أو الأوضاع الراهنة. وأخيراً، عمل المستشرقون على جمع وتوثيق هذه الأمثال كجزء من الثقافة الشعبية، بهدف الحفاظ عليها ودراستها لمعرفة تفاصيل الحياة اليومية والرمزية في المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، عوامل، الأمثال الشعبية، جذب، الفرنسي.

Abstract

Algerian proverbs attracted the attention of French Orientalists for several key reasons. They were considered a rich source of cultural knowledge, reflecting the values and beliefs of the Algerian people in a simple and easily understandable way, making them an effective tool for understanding the way individuals think and interact with life. Proverbs also reveal the psychological state and collective feelings of the society, helping Orientalists study the psychological and social dimensions of Algerian society. On the other hand, proverbs served as a means to study social and political changes, expressing the people's reactions to events and transformations. Furthermore, proverbs were an instrument of social and political influence, reflecting indirect attitudes toward the authorities or the prevailing situations. Finally, Orientalists worked on collecting and documenting these proverbs as part of popular culture, with the aim of preserving and studying them to understand the details of daily life and symbolism in Algerian society.

Keywords: Orientalism; factors. proverbs; attract; french.

1. مقدمة

يُعدُّ الاستشراق الفرنسي من الظواهر الثقافية والتاريخية التي ظهرت بشكل بارز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد جاء في سياق التوسع الاستعماري الفرنسي الذي شمل العديد من البلدان في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا. وكان هدف الاستشراق الفرنسي هو دراسة "الشرق" من منظور الغرب، حيث سعى المستشرقون الفرنسيون إلى فهم وتوثيق الثقافات الشرقية بشتى جوانبها، سواء في الأدب أو الفنون أو الدين أو التقاليد الاجتماعية. إلا أن دراسات الاستشراق لم تكن دائماً محايدة أو موضوعية، بل كانت متأثرة في كثير من الأحيان بمواقف استعمارية تهدف إلى تفسير الشرق كـ"الآخر" المختلف، المرتبط بالعقلية الغربية عن الغرب الأوروبي.

وجاء المقال لمعالجة إشكالية مهمة وأساسية والتي تمثلت في كيف ساهم الاستشراق الفرنسي في إعادة

تشكيل الفهم الغربي للأمثال الشعبية العربية؟

الهدف من دراسة هذا الموضوع يكمن في فهم كيفية تأثير الاستشراق الفرنسي في إعادة تشكيل الفهم

الغربي للأمثال الشعبية العربية. تتجسد الإشكالية الأساسية في السؤال حول كيفية مساهمة الاستشراق

الفرنسي في تفسير هذه الأمثال وتقديمها للجمهور الغربي بطريقة قد تكون مشوهة أو مبتورة من سياقاتها

الثقافية والاجتماعية الأصلية. فالدراسة تسعى إلى تحليل دور المستشرقين في نقل وتوثيق الأمثال العربية وتفسيرها من خلال منظورات غربية قد لا تعكس بالضرورة المعاني الأصلية والتقاليد الثقافية التي تشبعها. كما تهدف الدراسة إلى معرفة كيف سعت الدراسات الاستشراقية إلى استخدام هذه الأمثال ليس فقط كمصدر للمعرفة الثقافية، بل كأداة لتعزيز الصور النمطية أو حتى التأثير في السياسة والإيديولوجيات الغربية تجاه العالم العربي.

في هذا السياق، شكّل الاهتمام بالأمثال الشعبية جزءاً أساسياً من مشاريع المستشرقين الفرنسيين. فالأمثال، بما تحمله من حكمة وتعبيرات ثقافية، تمثل جزءاً مهماً من الموروث الشعبي لكل مجتمع. وكان المستشرقون يدركون أن هذه الأمثال لا تحمل مجرد معاني لغوية بل تعكس أفكاراً عميقة حول الحياة، والقيم الاجتماعية، والتقاليد المحلية. كما أن دراسة الأمثال أتاحت لهم نافذة لفهم طرق التفكير الشعبي في المجتمعات الشرقية، وكيف أن هذه الأمثال تُستخدم لنقل التجارب الحياتية والأخلاقيات والمفاهيم الثقافية بين الأفراد.

لقد شكلت الأمثال الشعبية بالنسبة للمستشرقين الفرنسيين مصدراً مهماً لدراسة الأدب الشعبي، حيث أتاح لهم الاطلاع على كيفية تفكير الشعوب الشرقية ورؤيتها للعالم. فقد كان المستشرقون مهتمين بتوثيق هذه الأمثال وتحليلها من خلال ترجمتها إلى الفرنسية، ما ساهم في فهم عميق لتراكيب المجتمع الشرقي ورؤيته للعالم من خلال الموروث الثقافي اللفظي. وبهذا، كانت الأمثال الشعبية تعدّ أداة معرفية أساسية للمستشرقين في محاولة لفهم أبعاد الثقافة الشرقية في سياقها الاجتماعي والتاريخي، ولإعادة تقديمها للجمهور الغربي بطريقة تُسلط الضوء على اختلافات وتقاطعات الثقافات بين الشرق والغرب.

من خلال هذا الاهتمام، لم تقتصر دراسة الأمثال الشعبية على كونها مجرد مادة لغوية أو أدبية، بل أصبحت عنصراً أساسياً في بناء صورة شاملة ومعقدة للشرق في أذهان الغربيين.

تُعدّ الأمثال من أبرز أنواع الأدب التي تتمتع بخصائص فريدة تجعلها تبرز وتتميز عن غيرها من الأشكال الإبداعية. فهي ليست مجرد كلمات عابرة، بل هي تعبيرات مختصرة لكنها غنية بالمعاني والدلالات التي تلامس جوانب متعددة من حياة الإنسان. تنبثق الأمثال من بيئة اجتماعية وثقافية معينة، وتحمل في طياتها تجارب

الشعوب والأمم، بل وتعكس رؤاهم الفكرية وتصوراتهم للعالم من حولهم. تختلف الأمثال في مضمونها ودلالاتها، فبعضها يعبر عن قضايا اجتماعية أو نفسية، وبعضها الآخر يتناول جوانب سياسية أو ثقافية، مما يجعلها أداة تعبير شاملة تمس جوانب متنوعة من حياة الأفراد والمجتمعات

إن للمثل البعد الاجتماعي الذي يعكس قيم المجتمع وعاداته، كما يمكن أن يكون له تأثير على الوعي الجماعي للأفراد في مختلف الأزمنة والأماكن. وتكمن أهمية دراسة الأمثال في كونها تشكل جزءاً أساسياً من التراث الثقافي لأي أمة أو شعب، حيث تمتزج فيها الحكايات الشعبية والحكمة المتوارثة عبر الأجيال. فهي تتضمن مفاهيم وأفكار قد تعود إلى الماضي البعيد، لكنها ما تزال قادرة على التفاعل مع الواقع المعاصر. ولذلك، فإن دراسة الأمثال تعتبر عنصراً مهماً في مجالات الأدب والأنثروبولوجيا، باعتبارها مرآة تعكس تطور الفكر البشري وتفاعلاته مع البيئة الاجتماعية والثقافية

من هذا المنطلق، سنتناول في هذا المقال كيفية اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالأمثال الشعبية الجزائرية، ونسعى للكشف عن دوافعهم وراء جمع هذه الأمثال ودراستها. سنوضح أيضاً السياقات التاريخية والثقافية التي دفعت هؤلاء الباحثين إلى التوجه نحو هذا المجال، مع تسليط الضوء على خلفية هذا الاهتمام الذي يعكس التفاعل بين الثقافات المختلفة وحرص المستشرقين على فهم الموروث الشعبي المحلي.

2. مفهوم الاستشراق

حسب إدوارد سعيد، يُعتبر الاستشراق مجالاً معرفياً يُعنى بدراسة الشرق بشكل منظم، حيث يُعالج الشرق كموضوع للبحث والاكتشاف والتطبيق. يرى سعيد أن الاستشراق لا يقتصر فقط على كونه دراسة علمية وثقافية، بل غالباً ما يرتبط بمصالح استعمارية، حيث يُدرس الشرق من نواحٍ سياسية، اقتصادية، اجتماعية، وإيديولوجية لتحقيق أهداف استعمارية. وبهذا، يصبح الاستشراق أداة لفهم الشرق وتقديمه بطريقة تخدم المصالح الغربية وتُسهم في تكريس الهيمنة الاستعمارية¹.

نشأة الاستشراق الفرنسي

رغب الفرنسيون في استكشاف إشعاع الشرق المعرفي واكتشاف ثرواته الخفية وكنوزه المخبأة. ولهذا السبب، انكبوا على تعلم اللغات الشرقية، ثم تفرغوا لدراسة الأدب والتاريخ العربي والإسلامي. وقد جعلت هذه الدراسات، التي تركز على التراث العربي والإسلامي، المدرسة الاستشراقية الفرنسية متميزة عن غيرها من المدارس الغربية التي اهتمت بالشرق.

يعدّ الاستشراق الفرنسي من أبرز وأقدم المدارس الاستشراقية في تاريخ الفكر الغربي. فقد بدأت العلاقة بين فرنسا والشرق الأوسط منذ أن دخل العرب إلى بعض مناطقها، واستمرت هذه الصلات تتطور عبر العصور، خاصة في فترة تعاون الخليفة هارون الرشيد مع الإمبراطور شارلمان ضد الخلافة الأموية في قرطبة والإمبراطورية البيزنطية.²

أما في ما يخصّ الاهتمام الكبير لفرنسا بالعالم العربي والإسلامي فكان بارزاً بشكل خاص خلال فترة الحروب الصليبية، حيث لعبت فرنسا دوراً محورياً وفعالاً في تلك الصراعات، مما ساهم في تعزيز علاقاتها مع المنطقة³ تعددت الآراء حول بداية الاستشراق الفرنسي، حيث يرى بعض الباحثين أن انطلاقته تعود إلى مؤتمر فيينا الكنسي الذي انعقد في عام 1311م⁴، بعض الباحثين يعتقدون أن البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي تعود إلى الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، حيث قام المستشرقون بإجراء دراسات ميدانية نشرت لاحقاً في كتاب "وصف مصر". في المقابل، يرى آخرون أن الاستشراق الفرنسي بأبعاده السياسية والاستعمارية بدأ في عهد الملك فرانسوا الأول، الذي تولى الحكم عام 1547م، وكان أول من أدرك أهمية تعليم اللغات الشرقية، لا سيما اللغة العربية، بهدف تعزيز العلاقة مع الشرق.⁵

3. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي

لا يمكن اختزال العلاقة بين الاستشراق والاستعمار في مجرد خدمة المستشرقين للمشروع الاستعماري، بل هي علاقة أعمق وأوسع تتداخل فيها أهداف ودوافع متعددة. فبينما يُفهم الاستعمار كعملية "عمارة الأرض"،

حيث يتم احتلال الأراضي أولاً ثم استيطانها وفرض الهيمنة عليها، فإن الاستشراق يعد جزءاً من هذا المشروع، يتمحور حول تعزيز أهداف المحتلين وتنفيذ رغباتهم. في هذا السياق، كان الهدف الأساسي للمستشرقين هو إيجاد وسائل للتبشير وبث أفكارهم، مستخدمين الاستشراق كأداة لتحقيق ذلك. فقد كانت لهم محاولات مستمرة لفهم التركيبة الديموغرافية للعالم الإسلامي بهدف تشويهه ومحاربته. ومن خلال ارتباطهم الوثيق بالاستعمار الاقتصادي والتعليمي، وكذلك بالتأثير الإعلامي، حاول المستشرقون تقليل الفجوات بين الإسلام والمسيحية بهدف تحقيق تقارب بينهما.

في الواقع، كان الاستشراق صورة من صور الاستعمار، بل شريكاً أساسياً في تنفيذ عمليات الهيمنة على العالم الإسلامي. فمن خلال الأهداف والدوافع التي شغلت المستشرقين، اتضح أن الاستشراق كان يسعى إلى تهيئة الأرض للاستعمار، وتسهيل عملية التفريق بين المجتمعات الإسلامية تمهيداً للسيطرة عليها. وقد تزامن ذلك مع مساعيهم في توسيع دائرة التبشير المسيحي، حيث كان هناك تداخل واضح بين الاستشراق والتنصير، بل قد يكون هناك تطابق في الأهداف بين المستشرقين الأكاديميين والمبشرين الدينيين. ومن هنا يمكن القول إن التعاون بين الجانبين استمر على مر العصور، ولا يزال له تأثير حتى الوقت الراهن. بذلك، يتضح أن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار والتبشير كانت ولا تزال قوة مؤثرة في عملية غزو وتمزيق الأمة الإسلامية.⁶

4. الأمثال الشعبية

تعدّ الأمثال الشعبية من أسمى وأجمل أشكال التعبير اللغوي، فهي تنطوي على حكمة شعبية تُمثل خلاصة تجارب الحياة والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال. فهي من أرقى أنواع الكلام، حيث تجمع بين البساطة والعمق، وتستند إلى رؤى ثقافية واجتماعية. وتتميز بأنها تُستخدم في معظم مجالات الحديث، وتلعب دوراً مهماً في إثراء المحادثات وجعلها أكثر تأثيراً ووضوحاً، كما أنّها تعدّ جزءاً أساسياً من الثقافة الشعبية، إذ تقتحم مختلف أساليب الكلام وتدخل في كل مواقف الحياة، سواء كانت جدية أو فكاهية. هذه الأمثال تختصر معاني كبيرة في كلمات قليلة، وتعكس تجارب الإنسان في مختلف مراحل حياته. بذلك، تُعدّ الأمثال الشعبية وسيلة فعّالة لنقل الأفكار والمفاهيم بسهولة وبدون تعقيد، مما يجعلها تحظى بانتشار واسع واستمرار في الاستخدام عبر الزمن⁷

إن السبب في ذلك يعود إلى الخصائص الفريدة للمثل نفسه، حيث يتسم بفكرة واقعية تتماشى مع الواقع اليومي وتفاصيل الحياة. أما من حيث الصياغة، فإن المثل يتسم بالاختصار، حيث يُعبّر عن معنى عميق بكلمات قليلة، مما يجعله سهل الاستيعاب والتداول. كما أن تركيب المثل يكون بسيطاً وواضحاً، مما يساهم في سهولة تداوله وانتقاله بين الناس. هذه العوامل مجتمعة تجعل المثل عالماً في الأذهان، سريع الانتشار، ويظل على لسان الجميع في مختلف المواقف.

ويقول ابراهيم النظام في هذا الصدد: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة"⁸. فإبراهيم يقصد بأنّ المثل الشعبي يتميز بخصائص بلاغية تجعل منه أحد أرق أشكال التعبير اللغوي. أولاً، إيجاز اللفظ هو السمة الأبرز في المثل، حيث يعبر عن فكرة عميقة أو حكمة بعبارات قصيرة، مما يسهل حفظه وتداوله بين الناس. ثانياً، إصابة المعنى تكمن في قدرة المثل على التعبير بدقة عن الفكرة المراد نقلها، بحيث يكون المعنى واضحاً ومباشراً دون تعقيد. ثالثاً، يعتمد المثل غالباً على حسن التشبيه، إذ يستخدم المقارنات البسيطة والمألوفة التي تساهم في إيصال الفكرة بشكل أقوى، مما يجعلها قريبة من تجارب الناس اليومية. وأخيراً، جودة الكتابة تبرز في استخدام أسلوب لغوي دقيق، حيث يتم اختيار الكلمات بعناية لتوصيل المعنى بشكل فعال وجميل. بهذه الخصائص الأربع، يكتسب المثل قوته البلاغية، فهو لا يعبر عن الحكمة فحسب، بل يفعل ذلك بأسلوب بليغ، دقيق، ومؤثر، مما يجعله وسيلة مثالية للتعبير عن الأفكار بطريقة بسيطة لكنها عميقة. الأمثال بشكل عام تُعد جزءاً أساسياً من حياة الشعوب والأمم، فهي تعكس التاريخ وتستمد منه، وتحمل في طياتها الموروث الثقافي والتقاليدي. كما أنها تعبر عن الفكر الجماعي والهوية الثقافية للمجتمعات. ولذلك، فإن دراسة الأمثال تشكل عنصراً حيوياً في مختلف المجالات الأكاديمية، سواء في الأدب أو في الدراسات الإثنولوجية، حيث تساهم في فهم أعمق للعادات والتقاليد والمعتقدات التي تشكل ثقافة المجتمع وتاريخه.

والأمثال الشعبية في العصر الحديث تعكس صوت الشعب وأحواله، وتعد وسيلة تعبير عن تفكير الناس. لها أهمية كبيرة في الدراسات الثقافية والاجتماعية والتاريخية واللغوية، حيث تُظهر تاريخاً غنياً بالتجارب

والخبرات. كما أنها تحتوي على قيم اجتماعية وأخلاقية وتربوية وسياسية، مما يساعد الباحثين في فهم الماضي والاستفادة منه في الحاضر والمستقبل.⁹

تعتبر الأمثال الشعبية جزءاً أساسياً من الأدب الشعبي، ولها تأثير كبير على مختلف الأجناس الأدبية الأخرى. يستخدم الشعراء الأمثال في قصائدهم، ويعتمد الحكواتيون عليها في رواياتهم، كما يدمجها الكتاب الروائيون في أعمالهم. لهذا السبب، حظيت الأمثال باهتمام كبير من قبل الباحثين الذين جمعوها ودرسوا معانيها، وقاموا بتأليف العديد من الدراسات حولها. ومن أبرز الشخصيات التي اهتمت بهذا المجال في الجزائر نجد عبد الحميد بن هدوقة وعبد الملك مرتاض، إضافة إلى الأبحاث الأكاديمية التي ركزت على جمع ودراسة هذه الأمثال.¹⁰

ليس من المستغرب أن يقوم أبناء الشعب بجمع أمثالهم الشعبية، لكن ما يثير الاهتمام هو أن المستشرقين أولوا هذه الأمثال اهتماماً كبيراً في العالم العربي بشكل عام، وفي الجزائر بشكل خاص، حيث جمعوها في مؤلفات خاصة قبل أن يدرك العرب أنفسهم أهميتها بفترة طويلة.

تعتبر الثقافة الشعبية الجزائرية غنية ومتنوعة، مليئة بالأمثال التي تتمتع بتاريخ طويل من التداول، والتي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحياة اليومية للمجتمع. لقد شكلت هذه الأمثال جزءاً أساسياً من التعبير الشعبي، وكانت شاهدة على التغيرات الاجتماعية والظروف التي مر بها الشعب. لذلك، أصبحت الأمثال الشعبية الجزائرية موضوعاً لعدد من الدراسات والبحوث من قبل مختلف الباحثين، سواء الجزائريين أو الأجانب، الذين اهتموا بجمعها وتحليلها.

من بين الأجانب الذين اهتموا بدراسة هذه الأمثال، كان الفرنسيون الذين تربطهم بالجزائر روابط تاريخية. ويعود الاهتمام بالتراث الثقافي الشعبي في الجزائر إلى بداية فترة الاحتلال الفرنسي.¹¹

وكانت الدراسات والبحوث المتعلقة بالأمثال الشعبية جزءاً من الاستراتيجيات الاستعمارية في تلك الفترة من تاريخ الجزائر. هدف هذه الأعمال العلمية كان دراسة الحياة الشعبية من خلال ثقافتها ومعرفتها الشعبية،

حيث استخدمتها السلطات العسكرية الفرنسية كأداة لفهم المجتمع الجزائري وتوجيهه ليتكيف مع النظام الاستعماري. بذلك، أصبحت الثقافة الشعبية مصدراً مهماً للمعرفة التي ساعدت في استكشاف المجتمع الجزائري.

5. أسباب اهتمام الاستشراق الفرنسي بالأمثال الشعبية

لقد حظيت الأمثال الشعبية الجزائرية باهتمام كبير من قبل المستشرقين الفرنسيين خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وذلك لأسباب عدة تتعلق بالبعد الثقافي والاجتماعي لهذه الأمثال. كان الاستشراق الفرنسي يسعى إلى فهم طبيعة المجتمع الجزائري، وتوثيق تراثه الشعبي باعتباره جزءاً من دراساته الأنثروبولوجية والإثنوغرافية. كانت الأمثال الشعبية تحمل في طياتها حكماً وأخلاقيات تجسد رؤية الجزائريين للعالم، وتُعبّر عن تجاربهم اليومية في مواجهة التحديات الحياتية. كما أن الاهتمام الفرنسي بالأمثال الشعبية كان يهدف إلى فهم العلاقات الاجتماعية، والعادات والتقاليد، وتصورات الشعب الجزائري تجاه السلطة، والقيم الاجتماعية، والسياسة. ومن خلال تحليل هذه الأمثال، سعى المستشرقون إلى رسم صورة ذهنية عن الجزائريين، باعتبارها جزءاً من سعيهم لفهم الأبعاد الثقافية التي تميز المجتمع الجزائري عن غيره، ولتوظيف هذا الفهم في سياق السيطرة الاستعمارية والتفاعل مع السكان المحليين.

ويمكن تلخيص أسباب اهتمام المستشرقين بدراسة الأمثال الشعبية في النقاط التالية: تعتبر الأمثال الشعبية من أبرز وأوثق المصادر التي تعكس النشاط الإنساني في مختلف جوانب الحياة، فهي تعكس صورة حية ومتنوعة لثقافة أي مجتمع في أي زمان ومكان. تمثل هذه الأمثال سجلاً معرفياً غنياً يمكن الاستفادة منه لفهم التكوينات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات التي يصعب اكتشافها من خلال المصادر المعرفية التقليدية مثل الكتابات السياسية، الاجتماعية، والفلسفية. علاوة على ذلك، فإن الأدب الشعبي، بما في ذلك الأمثال، يُعد أداة فعالة لرصد وتحليل العمليات الاجتماعية التي ترافق التغيرات الاجتماعية، حيث تقدم هذه الأمثال رؤية واضحة وحيوية لهذه التغيرات التي قد لا تكون بارزة في الدراسات الأكاديمية التقليدية. ومن خلال دراسة مضمون الأمثال، يمكن للباحثين الكشف عن مفاتيح التغيير

الاجتماعي وتأثيراته، حيث تعكس هذه الأمثال طرق تفكير الشعوب، وتصوراتهم الثقافية، واهتماماتهم، مما يجعلها أداة قيمة لفهم أعمق لثقافة أي مجتمع.

إن البساطة اللغوية للأمثال الشعبية جعلتها مدخلاً مهماً للمستشرقين للتعرف على اللهجات العامية وفهمها. إذ أن فهم لغة الشعب واستخدامها يعتبران من الأساسيات التي تمكن من التعامل مع تلك الشعوب وفهمها بشكل عميق. ولهذا، أصبح الاهتمام بدراسة اللهجات العامية من أولويات المستشرقين، إذ تساعدهم على الوصول إلى معرفة أفضل بالعادات والتقاليد وطريقة التفكير لدى الشعوب التي يتعاملون معها، مما يعكس مدى أهمية هذه اللهجات في فهم المجتمعات بشكل حقيقي.

الأمثال الشعبية تمثل مزيجاً من العادات والتقاليد والطقوس والموروثات التي تميز كل بيئة ثقافية، مما يجعلها مصدراً غنياً للباحثين في مجالات دراسة الشعوب والأنثروبولوجيا. فهي لا تقتصر على نقل الحكمة الشعبية، بل تحتوي أيضاً على قيم أخلاقية مميزة لكل مجتمع، مما يعكس طريقة تفكير الشعوب وتصوراتهم للعالم. ولذلك، تعد الأمثال مرجعية أساسية في الدراسات الاجتماعية، حيث تساهم بشكل كبير في فهم بنية المجتمعات وديناميكياتها.

تعد الأمثال الشعبية مرآة تعكس الحالة النفسية التي يعيشها المجتمع في فترة زمنية معينة، حيث تمثل وسيلة فطرية وطبيعية للتعبير عن مشاعر الأفراد وأحوالهم دون أي قيد أو تلاعب. إنها تجسد بصدق آمال الناس وآلامهم، مما يجعلها مصدراً مهماً لفهم نفسية الشعوب وتطوراتها. كما أن الأمثال تعتبر من أبرز الأساليب التي يستخدمها الناس للتعبير عن آرائهم تجاه الأوضاع الاجتماعية، السياسية والاقتصادية التي يعيشونها. فالعديد من الأمثال التي تُنقل عبر الأجيال تعكس انتقادات حادة أو حكمة، وحتى إن كانت هذه الأمثال مجهولة القائل، فهي تحمل في طياتها رسائل تسخر من السلطات أو الحكومات، مما يبرز دورها كأداة فعالة للتعليق على الواقع الاجتماعي والسياسي¹².

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت الأمثال الشعبية تمثل مفتاحاً مهماً للمستشرقين لفهم الشعوب الأخرى واكتشاف أعماق المجتمعات الشرقية ومعرفة جوانب حياتها المختلفة. فقد سمح لهم هذا الاهتمام بالثقافات الشعبية بالاطلاع على أحوال الشعوب وطريقة تفكيرهم، مما مكّنهم من دراسة تأثيرات تلك الثقافات في سلوكيات الأفراد والمجتمعات. وبالتالي، كانت الأمثال أحد الأدوات الأساسية التي ساعدتهم على فهم عميق لأساليب الحياة، والتفاعل الاجتماعي، وتصورات الشعوب تجاه قضاياهم اليومية.

6. خاتمة

من خلال ما تم ذكره سابقاً، يتضح بجلاء أهداف الدراسات الاستشراقية، وبالأخص تلك التي قام بها المستشرقون الفرنسيون، في دراسة الثقافة الشعبية الجزائرية بشكل عام والأمثال الشعبية على وجه الخصوص. فمن الطبيعي أن يكون اهتمامهم منصباً على دراسة الأمثال، حيث أنها كانت وسيلة فعّالة لاستكشاف المجتمع الجزائري وفهمه عن كثب. لقد عملوا على جمع وتوثيق هذه الأمثال، ثم تحليلها لدراسة ما تحتويه من رموز ودلالات تكشف عن تفاصيل الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر. كانت هذه الدراسات بمثابة محاولة لفهم كل جوانب الجزائر، من أرض وشعب وثقافة، مما يسهل عليهم تحقيق أهدافهم الاستعمارية في السيطرة على البلاد والناس. كما أن أسماء العديد من هؤلاء المستشرقين الذين تعاملوا بشكل مباشر مع المجتمع الجزائري قد تم توثيقها في "المجلة الإفريقية"، التي كانت منبراً لنشر نتائج أبحاثهم ودراساتهم.

إحالات البحث

- ¹ ينظر: يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، (د م، د ط، د ت)، ص 148-149
- ² ينظر: نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، ط 3، 1964 ج 1، ص 151.
- ³ ينظر: أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 19.
- ⁴ ينظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن 20 م، نقله إلى العربية عمر لطفي العالم، دار المنار الإسلامي، بيروت لبنان، ط 2، 2001، ص 3
- ⁵ ينظر: حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مجلة كلية الآداب والعلوم 15 الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع 7، جوان 2005، ص 149
- ⁶ ينظر: زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص 31
- ⁷ ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، حققه و علق حواشيه و وضع فهرسه محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد الله قطامش، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط 2، د.ت، ج 1، ص 15.
- ⁸ الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق د.جان عبد الله توما، دار الإصدار، بيروت لبنان، ط 1، سنة 1422هـ-2002م، ج 1، المقدمة.
- ⁹ ينظر: موسوعة الأمثال الشعبية، دار الحضارة، الجزائر، سنة 1997م، ص 5
- ¹⁰ نشير هنا إلى العناية التي وجهه معهد الثقافة الشعبية بتلمسان عبر أساتذته خاصة في شعبة الأدب الشعبي حيث أنجز العديد من مذكرات الماجستير وأطاريح الدكتوراه حول مناطق كثيرة من الجزائر من حيث جمع ودراسة أمثالها الشعبية.
- ¹¹ ينظر: عبد الحميد بورايو بن الطاهر، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986م، ص 929.
- ¹² ينظر: أزن مطبقاني، الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار و الاستشراق، مقال بمجلة المنهل _ جدة، عدد 471، رمضان/شوال 1409 هـ، ص.ص 352.362. و محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة، الدراسات و البحوث الاجتماعية، القاهرة، سنة 1997م، ص 64..

مراجع البحث

1. أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، حققه و علق حواشيه و وضع فهرسه محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط، 2، دت، ج1.
2. أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
3. أزن مطبقاني، الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار و الاستشراق، مقال بمجلة المنهل _ جدة، عدد 471 ، رمضان/شوال 1409
4. حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962 ، مجلة كلية الآداب والعلوم 15 الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع7، جوان 2005.
5. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).
6. عبد الحميد بورايو بن الطاهر، القصص الشعبي في منطقة بسكرة(دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986.
7. محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة، الدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، سنة 1997م.
8. موسوعة الأمثال الشعبية، دار الحضارة، الجزائر، سنة 1997م.
9. الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق د.جان عبد الله توما، دار الإصدار، بيروت لبنان، ط1، سنة 1422هـ-2002م، ج 1، المقدمة.
10. نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1964 ج1..
11. يعي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، (د م، د ط، د ت).
12. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن 20 م، نقله إلى العربية عمر لطفي العالم، دار المنار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2001.

